القاضية الصّغيرة

دار العلم للملايين



سلسلة

عبقريات مبكّرة

صدر منها

دار العلم للملايين

القاضية الصّغيرة



دار العلم للملايين

دار العلم للملايين
صندوق البريد: ١٠٨٥
تلكس: 23166 MLAYIN LE
بيروت – لبنان ١٩٨٨

بقلم وريشة: طارق العسلي
إخراج وإشراف: المهندس طارف عثمان
تنضيد: شركة الحرف الالكتروني
تصوير وطبع: مطبعة نصر الله

١ - في الطريق إلى المدرسة

كان ذلك الصَّباح جميلاً ومنعشاً، الطرقات خالية إلا من سيارات قليلة تسير الهوينا وبعض المارّة الذين غادروا بيوتهم باكراً متوجهين إلى أعمالهم.. وقفت «عبير» على باب بيتها تَتَأَبَّطُ كتبها وتنظر إلى ساعة يدها.. إنها السابعة والنصف صباحاً والوقت ما زال باكراً، إذن لا ضرورة للعجلة لأن مَدرستها قريبة ولا تحتاج لأكثر من عشر دقائق من المشي.

« عبير » في الرابعة عشرة من عمرها وقد تعودت أن تلتقي بصديقتها « يُسرى » في منتصف الطريق فتتوجهان معاً إلى المدرسة وهما تتحادثان.. إنهما صديقتان حميمتان وهما تدرسان في نفس المدرسة، ولكن بالرَّغم من صداقتهما ومحبتهما لبعضهما، فقد كان هناك جوٌّ من التنافس بينهما، لأن يُسرى كانت دائماً تحوز على العلامات الأعلى في الصف.

كانت عبير تحاول دوماً أن تسبق يُسرى فتنجح بعض الأحيان وتخفق أحياناً، ولكن ذلك لم يكن أبداً ليفسد جو الأُلفة والصداقة بينهما، بل على العكس كان يُضفي على علاقتهما جوًّا من الحماسة ويجعل من صداقتهما لعبة رياضية ممتعة...

ها هي يُسرى تقف على زاوية الطريق بانتظارها، أشارت إليها بيدها وحيَّتها.. سارت الصديقتان تتجاذبان أطراف الحديث. وقالت عبير:

– يا له من صباح جميل.. الوقت ما زال باكراً ولسنا مضطرتيْن للإسراع كعادتنا كل يوم.. ماذا عندك من

أخبار؟

– كل خير.. لقد وَصَلَتْ خالتي من السفر أمس ومعها ابنها الصغير، وستقضي عندنا مدة أسبوع..

– حقاً !.. الحمد لله على سلامتها.. بودّي لو أرى ابنَها الصغير.. طالما كنتِ تحدثينني عنه..

– لن تصدقي كم هو جميل ولطيف.. الفضل يعود له في إيقاظي باكراً.. لقد أتى إلى سريري في السادسة صباحاً وأخذ يُداعبني.. تصوري أنه ما زال يَذْكُرُني بالرَّغم من مرور عام على غيابه عني، مع أن عمره الآن لا يتجاوز الثلاث سنوات...

ومضت الصديقتان تتحدثان إلى أن وصلتا إلى محطة « الأوتوبيس » حيث وقف بعض الركاب بانتظاره..

كان « الأوتوبيس » يقترب من المحطة ويكاد يقف عندما صدرت صرخة من الجموع وشاهدت الصديقتان رجلاً ينطلق راكضاً وهو يحمل بيده حقيبةً نسائية، كانت إحدى السيدات تصرخ وهي تشير إلى الرجل: « اللِّص.. اللص.. لقد سرق حقيبتي!! » وحاول بعض الشُّبان

اللِّحاق باللص ولكنه كان أسرع منهم إذ اختفى خلال لحظات بين الأَزِقَّةِ ولم يعد يُعثر له على أثر...

ووقفت الصديقتان تراقبان المشهد بذُهول. وقالت يُسرى:

– لقد أعادها مرة أخرى.. يا له من لص لعين!!..

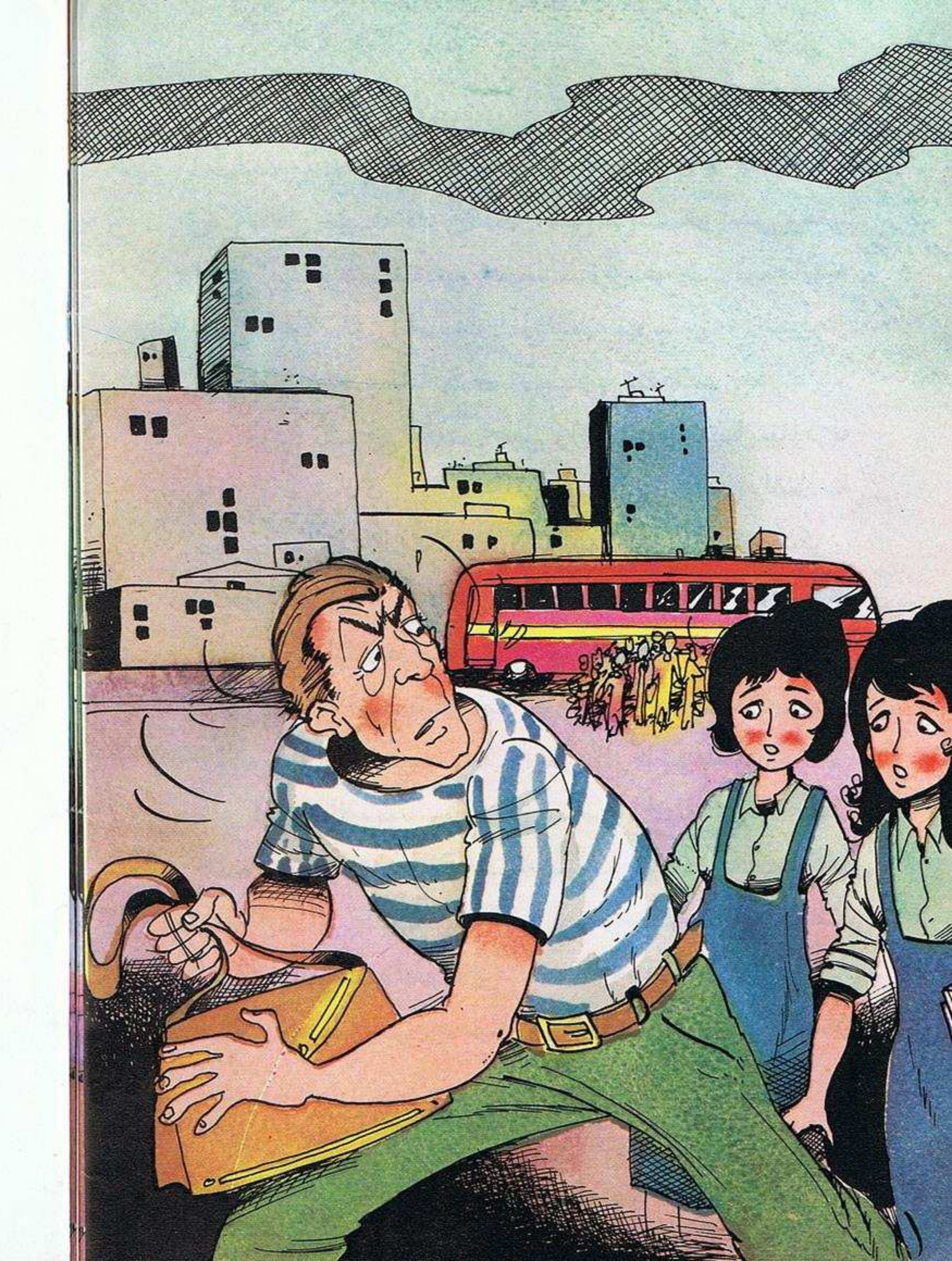
– إنه نفس اللص.. هذه ثالث مرة نشاهد فيها مثل هذه الحادثة.. أتذكرين؟!

– طبعاً أذكر.. يبدو لي أن هذا الشارع لم يعد أميناً.. يجب وقْف هذا اللِّص عند حَدِّه.. إني أتساءل لماذا لا تعتقله الشرطة؟!..

– لو كان هناك شرطيٌّ لاَعتقله.. النَّشَّالون يختارون دائماً الأماكن والأوقات التي لا يتواجد فيها رجال الشرطة ليفعلوا فِعلتهم..

– على كل حال رجال الشرطة يعرفون واجبهم.. ما لنا ولهم.. هيّا بنا..

وتابعت الصديقتان طريقهما نحو المدرسة، ولكن هذه المرة بسرعة أكبر لأنهما أضاعتا وقتاً غير قصير بسبب



توقفها لمشاهدة الحادث..

انتهى الدرس ووقفت المعلمة تُوَدِّع التِّلميذات قائلة:

- كما تعْلمن يا عزيزاتي.. غداً تبدأ عطلة الربيع وستقضين أسبوعاً كاملاً بعيداً عن الدرس والمدرسة فأرجو أن تتمتعن بهذه العطلة وأن تقضين وقتاً طيباً..

وصاحت الطالبات فرحاً بينما أكملت المعلمة:

- ولكن.. ولكن قبل أن ننصرف جميعاً لَكُنَّ عندي مفاجأة...

وصمت الجميع فجأة بانتظار معرفة هذه المفاجأة وقالت المعلمة:

- لقد اتفقتُ مع الإدارة على أن تُخَصِّص جائزة ووساماً للطالبة التي تقوم بأفضل عمل أثناء العطلة.. ستكون هذه الطالبة موضع تكريمٍ من الجميع وسيوضع اسمها على لائحة الشرف الأولى وتعتبر الطالبة المثالية..

وسألت تلميذة:

- ماذا يجب أن يكون هذا العمل؟!

- ليست هناك أية شروط.. قد يكون عملاً إنسانياً.. أو يكون عملاً أدبيًّا وفنِّيًّا.. أو ربما يكون عملاً يخدم المجتمع والعدالة.. كما قلت لكم ليست هناك أية شروط.. المهم أن يكون عملاً مفيداً والفرصة متوفرة أمامَكُنَّ جميعاً للمساهمة في ذلك.. والآن هيا بنا ننصرف وأتمنى لكُنَّ عطلةً سعيدة..

وانصرفت الطالبات مهللاتٍ وهُنَّ يتصايحن فَرحاً وبهجة...

٢- خطة مدروسة

قالت عبير ليُسرى وهما تسيران مبتعدتيْن عن باب المدرسة الكبير:

- لقد أعجبتني فكرة المعلمة وأتمنى لو أتمكن من القيام بعمل مفيد.. وأنت يا يُسرى.. ألا ترغبين بأن تكوني على لائحة الشرف الأولى؟

- طبعاً.. إنه لشرف عظيم.. ولكن ماذا يمكننا أن نفعل.. هل لديك فكرة؟

- كلا.. ولكن سأحاول..

وواصلت الصديقتان سَيْرهما بصمت إلى أن وصلتا إلى محطة الأوتوبيس، وهنا قالت يُسرى:

- ما زلت أتذكر حادثة الصَّباح.. أرجو أن يتمكنوا من القبض على هذا اللص..

- أعتقد أنه لصٌّ خبيث ولن يقع في أيدي الشرطة بسهولة..

وصمتت عبير قليلاً ثم قالت فجأة وكأنها استدركت أمراً:

- إنها فكرة.. ما رأيكِ لو نحاول القبض على هذا اللص؟!.. سيكون هذا عملاً عظيماً!!..

ونظرت إليها يُسرى باستغراب وقالت:

- هل أنت تحلُمين؟ كيف تريدين أن نتمكن من القبض على لص عجزت الشرطة عن الإمساك به؟!.. أنت فتاة خيالية يا عبير..

أجابت عبير بحماسة:

- كلا.. كلا.. اسمعي.. إذا وضعنا خطة مُحْكَمَة

سننجح في ذلك!!..

- لم أكن أعتقد أن لك هذه المُخَيِّلَة البوليسية.. هاتي لنرى.. ما هي هذه الخُطة؟!

- تصوري نفسك أنك أنت النَّشّال.. كيف تختارين فريسَتك؟ .. أعني كيف تعرفين أن هذا الشخص الذي تنوين نَشْله يحمل حقيبةً تحتوي نقوداً أو شيئاً ثميناً؟!

وصمتت يُسرى بُرْهَةً تفكر وقالت:

- لا بد أن النشال يعرف أمارات معينة تدله على أن الحقيبة تحوي ما يرغب به.. لا أدري.. لا بد أنه يعرف هذه الأشياء بِحُكْم مهنته..

ولكن لماذا هذا السؤال؟!

- افرضي أنكِ تريدين من أحد النشّالين أن ينشل حقيبتك.. فماذا تفعلين؟!

- أفعل أيَّ شيء لأدلّه على أن حقيبتي تحوي أشياء ثمينة..

- مثلاً؟

- مثلاً أن أدعه يرى محتوياتها!!..

وضربت عبير كفاً بكف. وقالت بحماسة:

- لقد وصلنا إلى الهدف.. أنت ذكية ونبيهة يا يُسرى.. سننصب كميناً للِّص بهذه الطريقة!!

وتفحصت يُسرى صديقتها باسْتِهْجانٍ وقالت:

- مهلاً.. مهلاً يا عزيزتي.. أنا لم أقل إني سأشترك بهذه المغامرة المضحكة..

- بل سوف تشتركين.. ألا تريدين أن نكون معاً على لائحة الشرف؟! فكري جيداً بهذا الأمر.. إلا إذا كنت ترغبين بأن أكون المتفوقة الأولى في الصف..

كانت هذه الكلمةُ كافيةً لإثارة حماسة يُسرى، لأنها جعلتها تتذكر التنافس الذي بينها وبين صديقتها وفكرت.. ماذا لو حدث الأمر وتمكنت عبير من النجاح في خُطتها؟!.. سيكون الشرف والتكريم لها وحدها وستعتبرها الطالبات المتفوقة الأولى في الصف.. ولم تفكر يُسرى إلى أكثر من ذلك، بل حزمت أمرها وقالت:

- حسناً.. حسناً.. إني أستَسْلِم.. ما هي تفاصيل خطتك؟!

- تعالي معي إلى البيت لنتناول كوباً من العصير، وهناك نبحث تفاصيل الخطة بهدوء..

جلست الصديقتان أمام المنضدة تتناولان كوباً منعشاً من عصير البرتقال حضّرته لهما والدة عبير وقالت يُسرى:

- هيا بنا.. لنبحث الخطة بالتفصيل...

- حسناً.. إليك الخطة.. ستكونين أنت الطُّعْم للإيقاع باللِّص.. أنت طويلة وإذا تنكَّرتْ بثياب السيدات الكبيرات فلن يلاحظ اللص حقيقة عمرك.. ستقفين أمام محطة الأوتوبيس متأبطة حقيبةً للسيدات..

وقاطعتها يُسرى متسائلة:

- ومن أين آتي بحقيبة للسيدات..

- أية حقيبة قديمة لوالدتك، وستضعين فيها بعض الحُليِّ الصناعية الزائفة تأخذينها أيضاً من حُلِيِّ والدتك القديمة التي لا تستعملها..

- .. وبعد ذلك؟!

- أكون أنا قد سبقتك وأتيت برجال الشرطة الذين سيختبئون في مكان بعيد عن الأعين..

- ولكن!!.. ماذا ستقولين لرجال الشرطة.. هل تظنين بأنهم سيقتنعون بخطتك المضحكة؟!

- أتركي هذا الأمر عليَّ.. لنكمل.. بعد أن يكون قد تم كلُّ شيء، توهمين كلَّ من يراكِ بأن حقيبتك قد سقطت منك على الأرض، فتتناثر الحُلي الزائفة منها، وهذا ما سوف يلفت نظر اللص إليك ويختارك ضحيته.. بعد ذلك إذا سارت الأمور على ما يرام، سينشل اللص حقيبتك ويحاول الهرب بها كما فعل في المرة السابقة، ولكنه لن ينجو لأن رجال الشرطة سيكونون جاهزين هذه المرة لإلقاء القبض عليه!!..

وضحكت يُسرى بتعجب وهي تقول:

- يجدر بك أن تعملي مُخْبِرَةً سِرِّيَّة عندما تكبرين.. إن لك مُخَيِّلَةً بوليسية عجيبة..

أجابت عبير بِحَزْم:

- هل أنت موافقة إذن؟!

- موافقة.. متى نبدأ تنفيذ الخطة؟!

- غداً صباحاً نجتمع ونبدأ العمل...

٣ - القَبْضُ على اللِّص

كانت عقارب الساعة تشير إلى السابعة عندما اجتمعت الصديقتان في الصباح للبَدء بتنفيذ الخطة، وقد اتفقتا على أن ترتدي يُسرى ثيابها التَنَكُّرِيَّة وتنتظر أمام حديقة منزلها، بينما تذهب عبير لإحضار رجال

الشرطة، وكانت يُسرى ما تزال مترددة، لكن عبير أقنعتها وقالت:

-اِطمئني.. سأحضِرُ رجال الشرطة ثم أقف في هذه الزاوية، وعندما أُعطيك الإشارة، تتقدمين نحو محطة الأوتوبيس وتقفين بين الجموع ثم تُنفِّذين ما اتفقنا عليه.. والآن هيا.. عودي إلى المنزل وارتدي ثيابك ولا تنسي على الأخص أن تضعي الحُلي المزيفة في حقيبتك..

وقبل أن تَرُدَّ يسرى عليها، انطلقت عبير متجهةً نحو مخفر الشرطة القريب.

.. جلس الرقيب أمام طاولته ينظر إلى هذه الفتاة النحيلة الماثِلَة أمامه وقال:

- صباح الخير يا صغيرتي.. هل يمكنني أن أخدمَك بشيء؟

ترددت عبير قليلاً قبل أن تجيب:

-صباح الخير يا سيدي.. هناك حادثة سَرقة أريد أن أُبَلِّغ عنها!!..

- حادثة سرقة؟!.. متى حدثت؟!..

- لم تحدث بعد يا سيدي.. ولكنها ستحدث!!..

وابتسم الرقيب وهو ينظر إليها باستغراب وقال:

- وكيف تعرفين بأن هناك حادثة سرقة ستحصل؟

- أرجوك يا سيدي.. لا يمكنني أن أقول لك كيف.. لكنها ستحصل ويجب أن تكون حاضراً للقبض على اللص..

- اسمعي يا صغيرتي.. إذا كنت تعتقدين بأن هذا أمرٌ مُسَلٍّ فأنت مخطئة.. لدينا هنا أعمال كثيرة تشغلنا....

- أرجوك يا سيدي.. صَدِّقْني.. ألا تعملون أنتم رجال الشرطة لخدمة الشعب والقبض على المجرمين؟!..

وفَتَلَ الرقيب شاربيه وهو يقول:

- طبعاً.. طبعاً.. ولكن..

- أرجوك يا سيدي..

- حسناً حسناً.. لي ابنة صغيرة تشبهك تماماً وأنا عادة لا أرفض لها طلباً، ولذلك إكراماً لها سأذهب معك..

- إذن هيا بنا..

وقادته عبير إلى المكان الذي اتفقت عليه مع يُسرى وقالت:

- من الأفضل يا سيدي أن تختبىء هنا، لأن اللص إذا شاهدك فسوف يهرب..

ثم أَشَارَتْ بيدها إلى يُسرى التي كانت تقف منتظرةً وكان مَنْظَرُها يبعث على الضَّحك في ثيابها الفَضْفاضَة.. وأمام عَيْنَي الرَّقيب المَذْهولَتَيْن تقدمتْ يسرى نحو محطة الأوتوبيس وهي تكاد تَتَعَثَّر بسبب الحِذاء ذي الكعب العالي الذي كانت تلبسه في قدميها...

وقال الرَّقيب:

- هل هذه صديقتك؟!.. أعتقد أنكما تُدَبِّران أمراً ما، أليس كذلك؟! اِسمعي.. سأترككما هنا تلعبان وأعود إلى عملي.. إلى اللقاء..

- اِنتظر قليلاً يا سيدي.. عشر دقائق فقط وسترى صِدْق كلامي.. أُنظر هناك.. إلى محطة الأوتوبيس...

ونظر الرقيب إلى محطة الأوتوبيس فاغراً فاه..



كانت يُسرى في هذه الأثناء قد أسقطت حقيبتها على الأرض وبدأت في جمع الحُلي الزائفة المتناثرة على الأرض.. مضى بعض الوقت لم يحدث فيه شيء ولكن فجأة بدأت أمارات الفُضول تظهر على وجه الرَّقيب وهو يرمي ببصره نحو المحطة وأخذ ينظر بِتَمَعُّنٍ محاولاً التَّأَكُّدَ من شيء ما، ثم قال:

– لقد أصبتِ يا صغيرتي.. إني أرى هناك شخصاً أعرفه جيداً..

إنه النشال المشهور « صُبْحي »..

وما كاد الرقيب يُنْهي كلامه حتى كان النشال يقترب من يُسرى. ثم فجأة يَخْتَطِفُ الحقيبة منها ويسرع راكضاً، وبسرعة بَرَزَ الرَّقيب من مَخْبَئِه ليسد عليه الطريق ثم أمسك به.. حاول اللِّص التَّخَلُّصَ برمي الحقيبة على الشرطي، ولكنه كان أسرع منه، وخلال لحظات تغلب عليه ثم وضع القَيْدَ في يَدَيْه أمام دَهْشَة المتجمعين الذين فاجأهم هذا المشهد الغريب.

٤ - عملٌ عظيم

قاد الرقيب اللص إلى المخفر ثم وضعه في السجن، وكانت الصديقتان قد لحقتا به بعد نجاح خطتِها ووقفتا تتفرجان على اللص وهو وراء القُضْبان وقالت عبير:

- ألم أقل لك إن خطتنا ستنجح؟! الآن أصبح من المؤكد أننا سننال جائزة المدرسة ونَتَصدَّرُ معاً لائحة الشرف..

- في الحقيقة لقد خِفْتُ كثيراً عندما خَطَفَ مني اللص الحقيبة.. أنت لم تفعلي شيئاً.. كلُّ الدور قمت به أنا..

- لا تنسي أني كنت العقل المفكر.. العقل يا عزيزتي.. إنه كل شيء. وتدخل الرقيب قاطعاً عليهما الحديث وقال:

- والآن وقد قبضنا على اللص، لي معكما حديث.. هيا.. تعالا إلى مكتبي..

وجلست الصديقتان أمام طاولة الرقيب الذي ما لبث أن قال:

- أريد أن أسمع منكما الحكاية من أولها.. هناك سؤال يشغلني قبل كل شيء.. لماذا ترتدِي إحداكما هذه الثياب المضحكة؟!

وارتبكت يُسرى واحمر وجهها بينما صدرت من عبير ضحكة حاولت إخفاءها. وكَظَمَتْ يُسرى غَيْظَها وهي تصرّ على أسنانها وقالت عبير:

- إنها ثياب تَنَكُّرِيَّة يا سيدي.. سأحكي لك القصة

من أولها..

وقصّت عليه القصة من أولها وبعد أن انتهت قال الرقيب:

- إني فخورٌ بكما يا ابنتيَّ.. لقد قمتما بالفعل بعمل عظيم يخدم المجتمع والعدالة ولذلك أقدم لكما شكري نيابة عن كل رجال الشرطة وسأبعث إلى مدرَستكما برسالة شكر أيضاً وأشرح فيها كل شيء وآمل أن تفوزا بالجائزة لأنكما تستحقانها..

٥ - كيف تجري المحاكمة

قالت عبير:

- شكراً لك يا سيدي.. هل يمكن أن آتي بصديقاتي فيما بعد لأريهنَّ اللص الذي قبضنا عليه؟!

وضحك الشرطي مليًّا وقال:

- هذا مستحيل يا صغيرتي.. لأن هذا السجين لن يبقَ عندي سوى يوم أو يومين..

وسألت يُسرى بتعجب:

- هل ستطلق سراحَه بعد يومين؟!

- كلا.. كلا.. سأرسله إلى السِّجن المركزي ليبقى موقوفاً هناك ريثما تجري محاكمته..

- ومن الذي سيحاكمه؟ - سألت عبير

- القاضي طبعاً!!..

وقالت عبير:

- ولكن لماذا لا يكون في كل مخفر قاضٍ يحاكم اللص ويسجنُه فوراً؟!

- المحاكمة ليست مسألة سهلة كما تتصورين.. في كل محاكمة يجب أن يكون هناك مُدَّعٍ عامٌ ومُحامٍ للدِّفاع وشهود وأدلة بالإضافة إلى القاضي...

ونظرت الصديقتان إلى بعضهما باستغراب.. إنهما لم تفهما شيئاً مما قاله الشرطي وكانتا تعتقدان أن الحكم على اللص مسألة سهلة يمكن أن تجري في المخفر فوراً..

وفكرت عبير قليلاً ثم قالت:

- في الحقيقة يا سيدي لم نفهم شيئاً مما قلت.. ماذا

يعني المدَّعي العام ومحامي الدفاع والشهود والأدلة؟!.. كلمات نسمع بها لأول مرة..

وحَكَّ الشرطي رأسه متململاً ثم قال:

- حسناً.. حسناً.. سأشرح لكما كل شيء.. سأتناول فنجاناً من القهوة وبعد ذلك اسألاني ما تريدان..

وأمسك فنجاناً من القهوة أخذ يَرْشفُ منه بهدوء ثم قال:

- إن واجب الشرطي ينتهي عندما يتمكن من القبض على المتهم وتسليمِه للعدالة.. كما حدث معنا اليوم، لقد قبضت أنا على اللص وبعد أن أسلِّمه للعدالة تنتهي مهمتي.. إن كل من نقبض عليه نسميه مُتَّهماً، فلا يحق لنا أن نقول بأن فلاناً لص أو مجرم إلا بعد أن تثبت إدانته...

- ومَن الذي يستطيع إثبات إدانته؟!

- المحكمة.. هي السلطة الوحيدة التي يمكن أن تُثبت إدانة أيِّ إنسان متهم.. لأننا في بعض الأحيان نتهم أُناساً أبرياء نعتقد أنهم قاموا بأعمال تضر بالمجتمع، وبعد

المحاكمة نتبين بأننا كنا مخطئين والمحكمة هي التي تقرر إذا كان الإنسان بريئاً أو مذنباً.

وقالت يسرى:

– اشرح لنا بالتفصيل.. ماذا سيجري مع هذا اللص وكيف يُحاكم.. وسكت الرقيب قليلاً يستجمع أفكاره ثم قال:

– كما قلت لكما سينقل من هنا ويوضع في السجن المؤقت، بعد ذلك يقوم المُحَقِّق العدلي باستجوابه، والمحقق العدلي رجل مهمته أن يقرر ما إذا كانت الأدلة قوية وكافية ضد المتهم، عند ذلك يقرر إحالته إلى المحاكمة..

– وبعد إحالة المتهم إلى المحاكمة.. ماذا يحدث؟

– تنعقد المحكمة في الوقت الذي عُين لها، ثم تبدأ إجراءات المحاكمة، فيوضع المتهم في مكان خاص بجانب القاعة، بعد ذلك يبدأ المدعي العام بسؤال المتهم أسئلة عديدة وهذا ما يُسمى « بالاستجواب ». والغاية من هذا الاستجواب هو أن يجعل المتهم يعترف بما نُسب إليه، واذا أَنكَر المتهم ذلك فإن المدعي العام يحاول أن يُبيِّن



بعض الحقائق من خلال تلك الاسئلة..

– من هو المدعي العام، ولماذا يقوم هو بالذات وليس القاضي باستجواب المتهم مادام القاضي هو الذي سيُصدر الحكم؟!

– إن المدَّعي العام هو ممثل المجتمع لأنه يتكلم باسمه.. لنفرض أن جريمة ما قد وقعت، فالعادة أن يتقدم أهالي المجني عليه بالشكوى أمام القضاء.. ولكن، لنفرض أن المجني عليه لا أقارب له مثلاً، أو لنفرض أنهم في مكان بعيد، في هذه الحال من سيتقدم بالشكوى؟ إنه المدعي العام، لأن أية جريمة أو جناية تقع تكون موجهة أولاً إلى المجتمع بكامله، لأنها تضر بجميع الناس ولذلك يمكن أن نسمي المدعي العام بحامي المجتمع..

– وهل يمكن للمدعي العام أن يتقدم بالشكوى على أي إنسان تقوم حوله الشُّبهات؟!

–طبعاً.. ألم أقل لكم إنه محامي المجتمع؟ .. إن سلطات المدعي العام كبيرة وواسعة وتشمل الجميع، حتى أن بإمكانه أن يتهم أكبر رجال الدولة حتى النواب

والوزراء..

قالت عبير:

- لم تجب على سؤالي.. القاضي يمثل المجتمع أيضاً.. لماذا لا يقوم هو بمهمة الاتهام والاستجواب؟

- القاضي يعتبر دائماً حكماً عادلاً ونزيهاً ومحايداً.. إنه ضمير المجتمع، مهمته فقط تنحصر في الاستماع إلى الحقائق، وعلى أساس الحقائق التي يستمع إليها ويراها يبني حكمه.. إصدار الأحكام على الناس مهمة صعبة وضميرية وتحتاج إلى الكثير من التركيز، ولذلك حُصرت مهمة القاضي في إصدار الأحكام فقط، لأن حياة إنسان قد تكون معلقة بكلمة منه، ولذلك لا مجال أبداً في الخطأ بإصدار الأحكام..

- حسناً.. بعد أن يستجوب المدعي العام المتهم أمام القاضي ماذا يحصل؟

- بعد ذلك يأتي دوْر الشهود، فبعد أن يُقسموا اليمين على قول الحقيقة، يبدأ المدعي العام باستجوابهم أيضاً، وذلك سعياً لاستخلاص الحقائق التي تثبت

الاتهام.. مثلاً سأكون أنا الشاهد عندما يحاكم هذا اللص، لأني رأيته بعيني وهو يقوم بنشل الحقيبة من صديقتك..

- وإذا لم يكن هناك شهود..

- إذا لم يكن هناك شهود فإن المدعي العام يأتي بأدلة أخرى، مثلاً بصمات المتهم وأشياء أخرى عديدة.

قالت عبير:

- تبدو لي هذه مسألة معقّدة وطويلة.. لماذا لا يقوم القاضي بالحكم على اللص دون هذه التعقيدات..

- لو لم تكن هذه الإجراءات ضرورية لما طُبِّقَتْ.. سأعطيكِ مثلاً.. افرضي أن شخصاً كان على خلاف مع شخصٍ آخر وأراد له الضرر، في هذه الحال يتقدم بشكوى متهماً غريمه بسرقته مثلاً.

وفي هذه الحال، كيف يمكن للقاضي أن يعرف إذا كان هذا الاتهام صحيحاً؟!

لو كان الأمر كذلك لأمكن لأي إنسان أن يتهم غريمه ويتسبب بسَجنه، لذلك كانت الحاجة إلى الشهود وإلى الأدلة ضرورية، وبغيرها لا يمكن للقاضي أن يقتنع



ويصدر حكمَه..

– حسناً.. لنفرض أن المتهم كان بريئاً، لأن الشاهد كان شاهد زور ولأن الأدلة كانت ضد المتهم بطريق الصُدْفة والخطأ.. ألا يمكن أن يحدث ذلك؟

– طبعاً.. يمكن أن يحدث ذلك دَوْماً، ولذلك كان هنالك دوماً محامٍ يدافع عن المتهم..

– وهل يحضر محامي المتهم المحاكمة؟

– طبعاً.. بدون الاستماع إلى محامي المتهم لا يمكن للقاضي أن يُصدر حكمه..

– وما هي مهمة محامي المتهم؟

– مهمته هي أن يبرهن على براءة المتهم، فإذا كانت هناك أدلة خاطئة ضد المتهم فإن المحامي يحاول أن يثبت أمام القاضي خطأ هذه الأدلة.

– حسناً.. لنكمل محاكمتنا – قالت يُسرى – ماذا يحدث بعد أن يستجوب المدعي العام المتهم؟

– يأتي بعدها دور محامي المتهم، أو محامي الدّفاع كما يُسمى.. إنه يفعل نفس الشيء الذي فعله المدعي العام،

أي أنه يستجوب المتهم والشهود، ولكنه يطرح عليهم أسئلة مختلفة وذلك لكي يستخلص منهم حقائق أخرى تثبت براءة المتهم..

- هذا يعني أن القاضي سيستمع إلى حقائق عديدة ومتناقضة.. كيف يمكنه أن يعرف الصحيح من الخطأ بين هذه الحقائق الموجودة أمامه؟!

- إن مهنة القاضي مهنة صعبة للغاية، ولذلك فهي تحتاج إلى تركيز كبير. كذلك فإن القاضي يكون عنده خبرة واسعة في أمور القضاء، ولكن في النهاية يعود كل شيء إلى ضميره وحُسن تقديره، ولذلك سُمِّي قاضياً لأن مهمته هي الاستماع إلى الناس والحكم بينهم...

- فعلاً إنها مهنة صعبة.. لكنها مهنة جميلة، لأنها مهنة اجتماعية تعتمد على الضمير قبل كل شيء..

وصمت الشرطي قليلاً ثم صب لنفسه فنجاناً آخر من القهوة ورشَف منه رشفة ثم قال:

- والآن.. هل عرفتما كل شيء عن مهنة القاضي.. من يدري ربما أصبحت واحدة منكما في المستقبل

قاضية..

وضحكت يُسرى وهي تقول:

- أعتقد أن هذا ينطبق على عبير أكثر مني.. إن عندها حساً اجتماعياً دقيقاً، ولذلك وضعت الخطة التي أدت للقبض على اللص..

وابتسم الرقيب قائلاً:

- هذه مهمة بوليسية أكثر منها مهمة قضائية..

- إذن ربما أصبحتِ مفتشه في الشرطة!!..

ونظرت عبير إلى يُسرى نظرة عتاب مازحة وقالت معترضة:

- كلا.. إني أفضل أن أكون قاضية.. لقد أعجبتني هذه المهنة..

وقال الرقيب:

- والآن عودا إلى بيتكما وكونا مطمئنتيْن.. سينال اللص عقابَه ويوضع في السجن.. هيا.. إلى اللقاء..

خرجت الصديقتان من المخفر وهما تشعران بفخرٍ كبير، فقد نجحت خطتهما التي وضعتاها للإيقاع باللص..

وقالت يُسرى وهما تتمشيان بهدوء:

- أريد أن أعود إلى البيت بسرعة لأتخلّص من هذه الثياب.. أخاف أن تشاهدني إحدى الصديقات بهذه الحال فأصبح أُضْحوكَة للجميع...

أجابت عبير:

- حسناً.. سنلتقي غداً.. سآتي إليك صباحاً لرؤية ابن أختك الصغير.. ولكن انتبهي.. يجب أن نحافظ على سرِّنا الصغير فلا تخبري أحداً بما فعلناه اليوم.. سنترك ذلك مفاجأة ليوم العودة إلى المدرسة..

٦- نهاية العطلة

اِنتهت العطلة وحان وقت العودة إلى المدرسة، كانت عبير ويُسرى تنتظران هذا اليوم بفارغ الصبر. ولذلك بكَّرتا بالحضور إلى المدرسة، وكانتا أول من دخل إلى الصف عندما قرع الجرس، وقالت عبير ليُسرى بعد أن جلستا على طاولتهما:

- أتعتقدين أن رسالة الرقيب قد وصلت إلى المدرسة؟!

- لست أدري.. يجب أن تكون قد وصلت.. على كل حال سنعرف ذلك من المعلمة...

جلست الطالبات كل واحدة أمام طاولتها وعَمَّ الهدوء، وتقدمت المعلمة ووقفت أمامهن وقالت:

- حمداً لله على سلامتكن جميعاًيا عزيزاتي. أرجو أن تَكُنَّ أمْضَيْتُنَّ عُطلةً جميلة.. والآن انتهى وقت اللَّهْو وحان وقت العودة إلى الجدِّ والدرس، فأرجو أن تكون هذه العطلة قد نَشَّطَتْ أجسامَكُنَّ وعقولَكُن..

قبل أن نبدأ الدروس سنبقى قليلاً مع أجواء العطلة.. كما تعلمن، كنا قد اتفقنا على اختيار طالبة مثالية للمدرسة، على أن تكون هذه الطالبة هي التي قامت بأفضل عمل أثناء العطلة، ومن الآن ولغاية نهاية الأسبوع، ستكون إدارة المدرسة مستعدة لاستقبال أية تلميذة تعتقد بأنها قامت بعمل مفيد لمعرفة نَوْعِيَّة هذا العمل، وبعد ذلك سوف تختار الإدارة بالاشتراك مع المعلمين والمعلمات الطالبةَ المِثالية لإعطائها الجائزة، ولوضعها على لائحة الشرف..

ولكني اليوم، أريد أن أُنَوِّه بطالبتين قد قامتا بعمل عظيم.. عندما فتحنا بريد المدرسة هذا الصباح، وجدنا رسالةً بعث بها رئيس مخفر الشرطة المجاور، يخبرنا فيها بأن الطالبتين عبير ويُسرى قد تمكنتا من الإيقاع بلص وسهّلتا تسليمه إلى رجال الشرطة، وذلك بمبادرة شخصية منهما وبطريقة ذكية وطريفة، وهو يوجه شكره وتحياته إلى الإدارة وجميع المعلمات والطالبات وعلى الأخص إلى عبير ويُسرى على هذا العمل المفيد.. لنصفِّق جميعاً لعبير ويُسرى..

وضج الصف بالتصفيق بينما وقفت عبير ويُسرى وقد احمرّ وجهاهما حياءً، وبعد أن انتهى التصفيق قالت المعلمة:

- يمكنكنَّ معرفة التفاصيل من الصديقتَيْن أثناء الفرصة في الملعب. أما الآن فأرجو أن تركزن انتباهكن جيداً لكي نبدأ الدروس..

تحلقت الطالبات حول عبير ويُسرى في الملعب، وتولت عبير حكاية القصة من أولها. وكانت الطالبات

يستمعن إلى الحكاية باهتمام وهنَّ غير مصدقات، وبعد أن انتهت عبير قالت إحدى الطالبات مازحة:

– ما رأيك لو نجعلك قاضيةَ المدرسة يا عبير.. لقد أصبحتْ عندك خبرةٌ كبيرة في أمور القضاء..

وضحكت الطالبات بمرحٍ وفجأةً قالت إحداهن:

– يبدو أننا سنكون بحاجة لك يا حضرة القاضية.. هل أنت مستعدة؟!

أجابت عبير متسائلة:

– بحاجة إليَّ؟! لماذا؟!

– قضية سَرقة!! لقد وجدت قلمي مع زميلتي «ليلى»، ولذلك فإني أريد تقديم شكوى لمحاكمتها!!

وتقدمت المتكلمة وهي تجرّ زميلتها من يدها وقالت:

– ها هي المتهمة!! من سيلقي القبض عليها؟!

ونظرت ليلى بحيرة إلى زميلتها وقالت:

– ما بك يا فادية؟ .. هل أنت جادَّة؟!.. لقد قلت لك بأني وجدت القلم أمام باب المدرسة.. ألا تصدقينني؟!

أجابت فادية ضاحكة:

– إني أصدقك يا ليلى.. ولكن قصة عبير قد أعجبتني، ولذلك فسأدَّعي بأني لم أصدقك وسنقوم بإجراء محاكمة لك.. ما رأيكن يا صديقاتي؟!..

ووافقت الصديقات بين تردد عبير ورفضها، لكنها رَضَخَتْ أخيراً تحت إلْحاح الجميع..

٧ - محاكَمَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ

وقفت عبير أمام رفيقاتها تخاطبهن وهي تتصنع الجدَّ:

- حسناً.. لقد اخترتموني قاضيةً.. بقي علينا اختيار المدعي العام ومحامي الدفاع.. من يتطوع لذلك؟

قالت يُسرى:

- أنا سأكون المدّعي العام..

وقالت أخرى:

- وأنا سأكون محامي الدفاع..

قالت عبير:

- حسناً.. بما أني أنا القاضية فيجب أن أقف بمواجهة الجميع، والمدعي العام ومحامي الدفاع يقفان في الصف الأول بمواجهتي. أما المتهمة فيجب أن تقف جانباً تحت الحِراسة.. سنستعين ببعض الشهود من الموجودين فليكن الجميع على استعداد...

ووقف الجميع كما أشارت عبير، ثم اُفْتُتِحَتِ الجلسة الوَهْمِيَّة..

قالت عبير:

- والآن لنرَ ما هي القضية.. إن المواطنة فادية تتهم زميلتها المواطنة ليلى بسَرقة قلمها، وقد وُجِدَ القلم مع المتهمة ليلى التي أنكرت سَرقة القلم وادَّعتْ بإنها وجدته أمام باب المدرسة.. الآن سنترك المدعي العام يقوم باستجوابه للمتهمة..

واقتربت يُسرى من ليلى التي كانت تقف جانباً وقالت لها:

- لقد وجد قلم المواطنة فادية معك.. أتنكرين

ذلك؟!

– كلا.. لا أنكر ذلك..

– قولي لنا.. كيف تبررين وجود قلم زميلتك معك..

– لقد وجدته أمام باب المدرسة..

– ولماذا لم تعيديه إلى صاحبته؟!

– كنت أريد ذلك.. لكني نسيت..

والتفتت يُسرى إلى الحضور وقالت:

– لقد سمعتم بنفسكم أيها السادة اعتراف المتهمة بوجود القلم معها، ولكنها أعطت تبريراً واهياً لهذا الأمر.. لقد ادعت بأنها وجدته أمام باب المدرسة.. لو كان ذلك صحيحاً، وكانت نيّة المتهمة حسنة لأعادته فوراً إلى صاحبته وخاصة أنها في نفس الصف.. لو صدقنا المتهمة، لكان بإمكان أي لص أن يدعي بأنه قد وجد ما سرقه في الطريق وبأنه قد نسي إعادته لأصحابه..

وعلى كل حال، أنا أترك لسيدي القاضي حريَّة الرأي في تصديق ما ادعته المتهمة.. الآن يمكن لمحامي

الدفاع أن يقوم بعمله.. لم يعد عندي أية أسئلة أخرى..

وتقدمت محامية الدفاع وخاطبت المتهمة:

– عندما وجدتِ هذا القلم.. هل كان بصحبتك أحد؟!

أجابت ليلى:

– نعم.. كنا مجموعة من الصديقات..

– هل توجد واحدة منهنّ هنا؟!

– نعم إنهنّ جميعاً هنا.. نوال وسامية وسلمى..

– هل لاحظن جميعاً بأنكِ وجدتِ القلم؟

– نعم.. وقد تحدثنا في هذا الأمر وقلت لهنّ إني سأعيده إلى صاحبته حالما ندخل الصف..

وهنا التفتت يُسرى إلى عبير وقالت:

– سيدي القاضي.. لم يعد لدي أية أسئلة أخرى للمتهمة، لكن أطلب مُثول المواطنة نوال للشهادة أمام المحكمة..

وصاحت عبير:

– الرجاء أن تتقدم المواطنة نوال إلى هنا..

وتقدمت نوال من بين الصفوف وقالت لها عبير:

– رددي ورائي.. أقسم بالله العظيم أن أقول الحقّ، كلَّ الحقِّ، ولا شيء غير الحق..

وأعادت نوال الجملة ثم وقفت قُبالة محامية الدفاع التي قالت لها:

– هل كنت موجودة عندما عثرت المتهمة على القلم؟!

– نعم.. كنا على وشك الدخول إلى المدرسة عندما انحنت ليلى والتقطت القلم..

– هل حاولت المتهمة إخفاءه؟!

– كلا.. بل على العكس، لقد أرتنا القلم وسألت ما إذا كان يخص واحدة منا، فأجبنا بالنفي..

– وهل سألت عمن تكون صاحبته؟!

– نعم.. وقد عرفته إحدى الزميلات وقالت لها إنه يخصّ فادية..

– وماذا قالت المتهمة بعد ذلك؟

– قالت بأنها ستعيد القلم إلى صاحبته عندما ندخل إلى الصف..

وهنا التفتت محامية الدفاع إلى الحضور وقالت:

– وهكذا ترون أيتها الأخوات.. ويا سيدتي القاضية.. أن نيّة المتهمة كانت حسنة، وكانت تنوي إعادة القلم إلى صاحبته كما سمعتم بأنفسكم من فم الشاهدة.. لو كانت تريد سَرقته، لحاولت إخفاءه ولما عرضته على صديقاتها وسألت ما إذا كان يخص إحداهن؛ وهذا يثبت فعلاً أنها نسيت إعادته.. شكراً.. لم يعد لدي أسئلة أخرى..

وساد الصمت بين الطالبات.. كان الجو أشبه ما يكون بقاعة محكمة حقيقية، وخاصة أن كلاًّ من يُسرى ونوال والأخريات أجدْنَ تمثيلهنَّ لشخصية المدعي العام ومحامي الدفاع والشاهد، وكانت تلك تجربة فريدة وظريفة تمر لأول مرّة عليهن.. وقطعت عبير الصمت بقولها:

– هل يريد المدعي العام استجواب الشاهدة؟!

أجابت يُسرى:

– كلا.. ليس عندي أية اسئلة..

وهنا قالت عبير:

- بناء على التحقيقات، وبناء على أقوال الشهود، ثَبُتَ لنا بأن المتهمة قد وجدت القلم حقاً وكانت تنوي إعادتـه إلى صاحبته، ولذلك فهي بريئة من تهمة السرقة!!...

وصاحت الطالبات مهللات وتَجَمَّعْنَ حول ليلى يهنئنها ويقبِّلنها كما لو كان الأمر حقيقياً، وساد الهرج والمرج فترةً بين ضحكِ الطالبات وضجيجهن قبل أن يقرع الجرس ويعدْنَ إلى الصف..

٨ - الطالبة المثالية

جلست عبير في غرفتها تراجع دروسها.. كانت قد انتهت لتوِّها من تناول العشاء ودخلت إلى غرفتها رأساً، لقد لاحظت أثناء تناول الطعام نظرات أمها إليها.. كانت تودّ أن تقول لها شيئاً لا تريد أن يسمعه الآخرون.. إنها تعرف والدتها جيداً وتفهم نظراتِها.. لا بد أنها تريد أن تفاتحها بأمر ما وتنتظر أن ينتهي العشاء



لتَخْتَلِيَ بها، لذلك أسرعت فوراً إلى غرفتها.. لا بد أن أمها ستطلّ بعد قليل ولا بد أنها قد عرفت بأمر اللص.

لم يَخِبْ ظن عبير، إذ دخلت والدتها بعد قليل وجلست بجانبها على السرير وقالت:

– لماذا لم تحكي لي ماذا جرى معكِ يا عزيزتي؟! ألم تتعودي بأن تحكي لي كل ما يجري معك وتصارحينني؟

وتظاهرت عبير بعدم الفهم وقالت:

– ماذا تقصدين يا أمي؟!.. عن أي شيء تتكلمين؟!

– أتكلم عن اللص الذي قبضتِ عليه.. لماذا خبأتِ عليَّ ولم تفاتحيني بالأمر؟!.. لقد مرَّ الشرطي عليَّ اليوم مهنئاً وأخبرني بالأمر.. هل أنت خجولة بما قمتِ به؟!

– كنت أريد مفاجأتكم بالأمر يا أمي، لأن المدرسة قد وضعت جائزة لأفضل عمل تقوم به طالبة أثناء العطلة.. كنت أريد أن أفاجئكم بفوزي...

– يا لكِ من شقيَّة!! عندي ابنة تتمتع بمواهب بوليسية وأنا لا أدري؟ أنا فخورة بكِ يا حبيبتي..

وضمت الأم ابنتها إلى صدرها وقالت:

– حسناً.. سنُخفي الأمر عن والدك حتى لا يضيع مفعول المفاجأة، لن أُخيِّب رجاءك.. ما رأيك؟!..

– كما ترين يا أمي.. ولكن لا أدري إذا كنت سأفوز حقاً..

– أنا متأكدة من أنك ستفوزين.. لقد قمت بعملٍ ذكي يعجز عنه الكبار..

وصمتت عبير قليلاً ثم قالت:

– في الحقيقة لم يكن الفوزُ بالجائزة هدفي من هذا العمل.. فعلت ذلك لأني اعتقدت بأني أُساهم في المحافظة على القانون والنظام في الشارع الذي نسكن فيه.. من يدري.. إذا ظل اللص طليقاً ربما وقعتِ أنتِ ضحية له أو ربما أبي..

– فعلاً يا عزيزتي.. لأن المحافظة على النظام والقانون واجب على الجميع، ولولا وجود الشرطة والقضاء لدبَّتِ الفوضى بين الناس ولأكل القوي الضعيف.. والآن هيا.. أكملي دروسك ونامي باكراً..

وقامت الوالدة وقبّلت ابنتها ثم خرجت بينما انصرفت عبير لإكمال دروسها...

انتهى الأسبوع وحان وقت الاحتفال بتَنْصيب الطالبة المِثالية وقد اختارت إدارة المدرسة يوم العطلة لعمل هذا الاحتفال ودعت أهالي الطالبات للحضور، ولذلك اصطفَّ الجميع في الملعب وكان والدا عبير ويُسرى يجلسون في الصفوف الأمامية.. لم يكن والد عبير يعلم بأن ابنته مرشحةٌ للفوز بلقب الطالبة المِثالية لأن والدتها أرادت مفاجأته بهذا الأمر، ولذلك جلس الجميع في هدوء وصمت بانتظار بَدء الاحتفال..

بعد قليل وقفت المديرة على المِنصَّة وقالت:

– سيداتي سادتي.. يسرّنا اليوم أن نعلن لكم اسم الفائزة بلقب الطالبة المِثالية.. لكن قبل ذلك سنشاهد معاً بعض الرقصات والاسْكِتْشات الفُكاهِيَّة التي ستقدمها الطالبات فأرجو أن تتمتعوا جميعاً بمشاركتنا في هذا الاحتفال..

مضى الوقت وقارب الحفل نهايته، كانت الطالبات

أثناء ذلك قد قدّمنَ رقصات عديدة وتمثيليات فُكاهية أطربت الحاضرين وألهبت أَكُفَّهم بالتصفيق.. وأخيراً حان الوقت لإعلان اسم الفائزة ووقفت المديرة مرة أخرى وقالت:

- والآن أعزائي الحضور.. يسرني أن أعلن لكم الفائزة التي اختارتها لجنة المدرسة لتنال لقب الطالبة المِثالية، إنها بالأحرى فائزتان، لأنها قامتا معاً بعمل مفيد، إذ قامتا بوضع خطة مدروسة وذكية وتمكنتا من الإيقاع بأحد اللُّصوص وتسليمه إلى رجال الشرطة دون مساعدة أحد.. فلنصفّق جميعاً للطالبتَيْن المِثاليتَيْن: عبير ويُسرى...

وضجَّ الملعب بالتصفيق، بينما نظر والد عبير إليها بدهشة وقال:

- ولكن ماذا يجري هنا؟! ما هذه القِصَّة؟!

وضحكت الوالدة وقالت:

- سنحكي لك القصة في طريقنا أثناء العودة إلى البيت.. هيّا.. ألا تريد أن تهنىء ابنتك؟!

وضم الوالد ابنته وقبّلها بينما كانت الأكُفُّ والحناجر تَنْهالُ بالتصفيق والتَهْليل...


عبقريات
مبكرة
دار العلم
للملايين

القاضية الصغيرة

